

# وائل قنديل يكتب : ما يشبه الرئيس لما يشبه الدولة



الجمعة 6 مايو 2016 10:05 م

وائل قنديل :

لعلها من المرات النادرة التي يصدّق فيها عبد الفتاح السيسي، حين وصف مصر بأنها "أشبه دولة". بالفعل، شأهت معالم مصر، منذ أن استولى على السلطة فيها، فلم تعد تعرف نفسها، ولا أهلها، ولم يعد مواطنوها يعلمون لها كياناً يمكن تعريفه بسهولة

هي لا دولة، ولا حتى معسكر، كما وصفها قبل أكثر من عام، إذ تكاد تتلاشى معالم الدولة، وتشيب ملامح المعسكر في الوقت نفسه

مصر تغيب عنها مقومات الدولة على نحو فادح فالدولة، في التعريف السياسي البسيط، تبدأ بالعقد الاجتماعي الذي تنبثق منه دولة القانون ولو قارنت بين ما هو معرّف نظرياً وما يدور على أرض مصر الآن، ستجد أن القوانين غائبة أو مُغيّبة، وأن المعيار الحاكم لإدارة الحياة داخل حدودها هو القوة وليس الحق، وأن القيمة السائدة هي البطش وليس العدل وبذلك، تبتعد مصر تماماً عن مفهوم الدولة، وترتد إلى حالة ما قبل اختراع القوانين

ولو حاولت أن تقيّم مصر بمعايير "المعسكر"، ستكتشف أنها في حالة من الرخاوة والبلادة الأمنية التي تجعلها عرضة لضربات موجعة هنا وهناك، على الرغم من كل هذا البطش الذي تمارسه سلطاتها قضائياً وشرطياً وعسكرياً، حتى إنها تضرب في المكان نفسه مرتين وثلاثاً، ولا تتعلم أبداً

تلك هي الحالة التي وصلت إليها مصر على يد عبد الفتاح السيسي، المسكون بالدجل والخرافة، والذي يستبدّ به العداة لكل ما يحول دون هيمنته على أدمغة المطحونين، بسلاحي الخوف والجوع ومن هنا، يمكن تفسير ما يجري ضد نقابة الصحفيين الآن

لا يريد الرجل أن تبقى على الأرض بؤرة لإيقاظ الوعي، أو فتحة في جدار جمهورية الخوف والشعوذة لذا، كانت الحملة المسعورة على نقابة الرأي، والتي استخدمت كل أرشيف الدولة البوليسية العسكرية في هجومها، خلال الأيام الماضية، لإزاح الستار عن الحقيقة الساطعة: غزوة النقابة كانت بتكليف من السيسي، وبعلمه وموافقته ومباركته

كان السيسي، أمس، يتوجّه بالخطاب إلى الجماعة الصحافية "ما بخافش"، فيتهلّل وجه وزير داخلية، وينتعش في مكانه الحقيقة نفسها التي عبّر عنها مصطفى بكري، عقب التوصيات والقرارات الصادرة عن عمومية الصحفيين، أول من أمس

تدعم هذه الحقيقة، أيضاً، هتافات الذين صدّقوا للسيسي في أثناء خطابه، حيث الوجوه والشعارات نفسها التي شاهدها الجميع في الحصار المسلح المفروض على نقابة الصحفيين، في مشاهد أصابت كل محب لمصر، عارف بحجمها، بالهم والغم، على ما فعله الجنرال في مجموعة من المواطنين البسطاء

حسم السيسي، أمس، الجدال بشأن الجهة التي تقف وراء شحن ضحايا التوحش، وأدواته أيضاً، من كائنات الفضاء السياسي لمحاصرة نقابة الصحفيين

لم يعد مفيداً، هنا، الاستغراق في اختبار الفرضيات، وتقليب الاحتمالات، والاجتهاد في البحث عن إجابات لأسئلة من نوعية:

1- هل هم سيساويون حقيقيون؟

2- أم مدفوعون ومدفوع لهم، على طريقة موقعة الجمل؟ وهنا، تفرض نفسها أسماء نواب وإعلاميين، هي نفسها التي ارتبطت بمشاهد الرقص المهينة في تظاهرات الجزيرتين

3- أم مغلوب على أمرهم، تراقصوا وتبأذؤوا وتحزّشوا بالصحافيين بالأمر، وإلا عادوا إلى الأقفاس الحديدية، لمواجهة العقاب من "الباشا"، كما تذهب الشهادة الموجهة التي نشرها الصحافي الشاب عبد الرحمن مطر، والتي استقاها من تجربة اعتقاله السريع، إذ يسجل هذا المشهد الذي وقع في أثناء إخلاء سبيله، بقوله "دخل علينا أكثر من 10 أفراد وغادروا، ثم أكثر من 30 فرداً أكد أقسم بالله أن جميعهم مصابّ بعاهةٍ مستديمةٍ تستقيم وتخطو بطول وجهه" وقال ضابط المباحث لأكثر من فرد فيهم: سماح النهارده وبكره من المراقبة مراقبتك يا ثورجي!".

كل هذه الاحتمالات واردة، غير أن المؤكد أن هؤلاء هم وقود ماكينة القمع والاستبداد، فيما يشبه دولة مصر التي يحكمها بالقوة، ما يشبه الرئيس، ولذلك، هو الأحرص، طوال الوقت، على أن يكون محكوموه منتمين إلى ما يشبه البشر، وما يشبه المواطنين، أو قل يريدون بشراً ملعوب في فطرتهم، بقصد تحويلهم إلى مسوخ في دولة الهستيريا.